

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي
(كتاب الإنسان)، إبراهيم بن ملال المطكودي المّزّاتي البصير أبو إسماعيل (300هـ-350 هـ)
**Excavations in the oldest written philosophical text on the definition of
man in the Maghreb Ibadhi heritage**
**(The Book of Insan) Ibrahim bin Malal Al-Matkoudi Al-Mazzati Al-
Basir Abu Ismail (300-350 A.H)**

عبد الرزاق بلقاسم، حاج دواق

¹ جامعة باتنة 1 (الجزائر)، abderrazakbelkacem@gmail.com

² جامعة باتنة 1 (الجزائر)، elhadj_1971@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 01-01-2022 تاريخ القبول: 06-06-2022 تاريخ النشر: 31-12-2022

ملخص: محاولة تهدف إلى تطبيق منهج "علاقات النص" قصد اكتشاف نصوص في الفلسفة، و علم الكلام في مصادر التراث الكلامي المخطوط عند الإباضيين المغاربة، إنطلاقا نص كلامي من القرن الثالث لمتكلم إباضي مغربي، هو إبراهيم بن ملال المطكودي المّزّاتي البصير (300هـ-350 هـ)، ثم هذا النص نجده مقتبسا في مخطوط ثان هو "كتاب السّؤالات" "لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي" (ق6هـ)، كما قام متكلم إباضي ثالث هو "أبو عمار عبد الكافي التنتاوي الوارجلاني" بشرحه ضمن الشرح الكلي للكتاب. إن الفرضية التي تنطلق منها الدراسة هي إمكانية اكتشاف أقدم نص فلسفي كلامي مغربي يعرف الإنسان. و تحقيقا لهذا الهدف وحب التمهيد لهذه الدراسة، بماهية الإنسان لدى المدارس الكلامية، بغرض تأصيل النصوص القديمة، في ما يصطلح عليه بالمدونة الكلامية المغربية.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الإنسان ؛ علم الكلام ؛ الإباضية ؛ مخطوطات.

Abstract :An attempt aimed at applying the "text relations" approach in order to discover texts in philosophy and theology in the sources of the written theological heritage of the Ibadis of the Maghreb, starting with a speech text from the third century of a Maghreb Ibadhi speaker, Ibrahim bin Mellal Al-Matkoudi Al-Mazzati Al-Basir (300 AH-350). e) , Then we find this text quoted in a second manuscript, "The Book of Questions"

by Abu Amr Othman bin Khalifa Al-Sufi (C6 AH), and a third Ibadhi speaker, "Abu Ammar Abdul Kafi Al-Tantawi Al-Wargelani" explained it within the overall explanation of the book. The hypothesis that stems from it The study is the

possibility of discovering the oldest spoken philosophical text of the Maghreb that knows man. In order to achieve this goal, it is necessary to prepare for this study, the nature of man in the theological schools, with the aim of rooting the ancient texts, in what is termed the Maghreb theological code.

Keywords: Ibadite; Theology; definition of human; manuscript

عبد الرزاق بلقاسم، abderrazakbelkacem@gmail.com

1- مقدمة:

تشارك العلوم الإنسانية و الاجتماعية في اهتمامها بالإنسان ،كموضوع عام تقوم عليه دراساتها، و تختلف في نظرتها إلى هذا الإنسان، من حيث هو فرد داخل جماعة، أو شخص يتفاعل مع محيطه انطلاقا من دوافع ذاتية شعورية عاطفية. و بناء على هذا تميز علم الاجتماع عن علم النفس، و عن علم التاريخ، جاءت الأنثروبولوجيا أو علمُ الإنسان للم شمل هذا "Anthropos" في موضوع واحد يدرسه علم واحد، لتخفيف تشعبته بين العلوم الإنسانية و الاجتماعية. مع إقرارهم -جميعا- أن الفلسفة كانت ولا تزال الرحم الذي تشكلت فيه كل هذه التحديات الفكرية لتعريف الإنسان بدأت منذ قرر سقراط أن ينزل الفلسفة من السماء إلى الأرض .

الأمر الذي تشترك فيه كل هذه العلوم الإنسانية و الاجتماعية و الأنثروبولوجيا و الفلسفة، هو سعيها الدائم لوضع تعريف للإنسان تبني عليه نسقها المعرفي، و بناء على هذا التعريف تبدأ الأنساق الفلسفية والعلمية، فإن كانت ماهية الإنسان تقوم على كونه يعقل ليعرف، تبدأ الفلسفة العقلية و المثالية التي أنتجت من هذه المبدأ - مقدارا هائلا من التأليف التي تدور في فلك ماهية الإنسان المعرف على أساسها وإن كانت ماهيته تقوم على كونه يحس ليعرف، تبدأ الفلسفة الحسية التجريبية. و يمكن إسقاط هذه القاعدة على كل الأنساق المعرفية التي تجعل محورا تستمد منه كينونتها.

و كون "علم الكلام" - الذي يقابله من الضفة الأخرى علم اللاهوت- نشأ لتبرير المعتقدات الدينية بحجج عقلية، فمن المتوقع أن يتجه في تعريفه للإنسان إلى الاستدلالات العقلية. وبتتبع مفهوم الإنسان لدى المتكلمين الأوائل نجد أن نظرهم له بدأت تتخذ وجهة فلسفية، غير النظرة الدينية التي ترى في الإنسان موجود من أجل العبادة، لتبدأ الانقسامات في المفاهيم، وفق نزعات الفلسفة كبرى بين العقلانية

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

و الحسية. هذا ما نكتشفه أيضا لدى المدارس الكلامية المغاربية القديمة، و أعرقها الإباضية التي كانت السبابة في الاهتمام بعلم الكلام لحاجتها الماسة إلى وسيلة فعالة للدفاع عن معتقداتها، و الاستدلال على صحة آرائها. فكانت بدايات علم الكلام الفعلية في شمال إفريقيا في القرن الثالث للهجرة في ذلك وقت كان للمعتزلة -في المشرق -الكلمة الفاصلة ووصلت إلى أوج ازدهارها و تأثيرها. ونحن - في المغرب - لا نتوقع أن يبادر متكلم مغاربي من القرن الثالث إلي وضع مؤلف فلسفي عن الإنسان غير الحقيقة خلاف ذلك، وجد متكلم الإباضي المغاربي " إبراهيم بن ملال المطكودي المزاتي البصير أبو إسماعيل (300هـ-350 هـ) قد حفظ لنا كتابا كاملا مستقلا بذاته موضوعه " مفهوم الإنسان" يصطبغ بالطابع الفلسفي أكثر من البعد اللاهوتي.

هذا الكتاب كان متداولاً و مشهوراً في القرن الرابع للهجرة. و شهرة هذا النص جعل أكبر المتكلمون الإباضية في القرن لسادس للهجرة يلحقون نص "مسألة الإنسان" بمدوناتهم الكلامية. ففي مخطوط "كتاب الجهالات" المنسوب إلى المتكلم الإباضي المغاربي الجزائري " تبغورين بن عيسى بن داود الملشوطي (القرن 6هـ) تمت زيادة نص "مسألة الإنسان"، و في مخطوط، كتاب السؤالات، المروي عن " أبو عمرو عثمان بن خليفة بن يوسف المرغني السوفي (ق6هـ) تم - أيضا- إقتباس هذا النص، و جعله مادة للسؤال السادس و الثمانون، دون الإشارة إلى مصدره، ليواصل متكلم إباضي مغاربي جزائري هو " أبو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني (توفي 571هـ) المسيرة بيشرح كتاب "مسألة الإنسان" و الوصول به يصل به إلى مستوى التجريد و الكمال، و ذلك في كتابه "شرح الجهالات"، مع التأكيد أن كل هذه المؤلفات لا تزال مخطوطة لم يتم تحقيقها وفق الشروط العلمية لتحقيق المخطوطات و السؤال الذي يفرض نفسه هو: هل يعود كتاب "مسألة الإنسان" - بالفعل- إلى القرن الرابع للهجرة أم قبله؟ و هل ما اقتبسه أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي من هذا المصدر ام من مصدر أقدم منهما؟ و هل المضمون المعرفي لكتاب "مسألة الإنسان" يقترب -حقيقة- من المفاهيم الفلسفية؟ للإجابة على هذا السؤال، نحتاج إلى ضبط مفهوم الإنسان لدى المتكلمين، خاصة الإباضية، لتحديد طبيعة التعريف و التثبت من مدى فلسفيته و وضعيته، و تحقيق نص " كتاب الإنسان" باعتماد منهج "علاقات النصوص".

إن إثبات ذلك يعني ضرورة أننا أمام نص مغاربي إسلامي كلامي (جزائري) لا يزال محفوظاً و يضبط تعريفا فلسفيا للإنسان و لن نتمكن من تحقيق ذلك إلا باعتماد منهج مقارنة النصوص، من اجل التثبت

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

من مدى مطابقة النصوص لبعضها البعض خاصة و أننا سوف نعتد منهاجا مختلفا في التحقيق، إذ عوض تحقيق النص الصغير منفردا، من خلال النسخ المتوفرة من "كتاب الجهالات" المنسوب إلى "تبغورين بعيسى الملسوطي" (القرن 06 هـ) سنقارن بين ثلاث نصوص في ثلاث مصادر منفصلة هي بالترتيب الزمني التالي: " نص كتاب الإنسان" المضاف إلى "كتاب الجهالات" بإجماع أصحاب السير الإباضية، و نص "كتاب الإنسان" الذي قام جامعاو مخطوط "كتاب السؤالات" بإضافته إليه كسؤال منفصل دون أن يشيروا إلى هذا الاقتباس و أدعي السبق في اكتشاف الاقتباسات، و أخيرا شرح أبي عمار عبد الكافي التتاوي لنص "مسألة الإنسان" من خلال شرحه "لكتاب الجهالات" حيث وقف عن نص "مسألة الإنسان" و أكد أن مؤلفه الأصلي "هو إبراهيم بن ملال المطكودي المزاتي البصير أبو إسماعيل" ترجيحاً. مع الإشارة إلى أن هذه النصوص الثلاث تتناول أيضا مسائل فرعية غير مسألة تعريف الإنسان و لكنها لا تفرط في التفاصيل، بل تتقي مصطلحات فلسفية و كلامية، لحاجتها إليها في تعريفها للموضوع الرئيس و هو "مسألة الإنسان" الذي أصبح عنوانا للنصوص. فلا يمكن بتر هذه الفقرات المرافقة لأننا سوف نحقق النص بحرفيته.

1.2 مفهوم الإنسان في علم الكلام :

1.1.2 مفهوم الإنسان عند المعتزلة :

أحصى لنا الأشعري في "مقالات الإسلاميين" أغلب المفاهيم السائدة زمنه في تعريف الإنسان

1.1.1.2 مفهوم الإنسان لدى المدرسة الحسية الكلامية المعتزلية :

هذه المدرسة يتزعمها المعتزلي "أبو هذيل العلاف" و التي تنظر إلى الإنسان نظرة حسية واقعية و لا تقول بمبدأ الجوهر الفرد (الجزء الذي لا يتجزأ) و تؤمن بالنظرة التركيبية دون أن تحاول التمييز بين الإنسان و الجسم و البدن و الروح و النفس فكلها تتفاعلون في مفهوم الإنسان من أهم تعريفات هذه المدرسة ما نسبته الأشعري للعلاف الذي يرى أن الإنسان " هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان و رجلان " (الأشعري، 1990، صفحة 25/2) و يضيف الأشعري: " و كان أبو هذيل لا يقول إن كل بعض من أبعاض الجسد فاعل على الانفراد، و لا أنه فاعل مع غيره، و لكنه يقول: الفاعل هو و هذه الأبعاض (الأشعري، 1990، صفحة 2/26).

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

2.1.1.2 مفهوم الإنسان لدى المدرسة المثالية الكلامية المعتزلية :

هذه المدرسة التي يتزعمها المعتزلي البصري معمر بن عباس السلمي، تنظر إلى إنسان نظرة مثالية على خلفية القول بمبدأ الجوهر الفرد (الجزء الذي لا يتجزأ) و تتميز بين الإنسان و الروح و الجسم يوثق الأشعري هذا التعريف" و قال معمر: الانسان جزء لا يتجزء، و هو المدبر في العالم، و البدن الظاهر آلة له، و ليس هو في مكان في الحقيقة، و لا يماس شيئا و لا يماسه، و لا يجوز عليه الحركة و السكون و الالوان و الطعم، و لكن يجوز عليه العلم و القدرة و الحياة و الارادة و الكراهة، و إنه يحرك هذا البدن بإرادته و يصرفه و لا يماسه " (الأشعري، 1990، صفحة 2/27)

2.2 عند الإباضية المغاربية:

اتجهت المفاهيم الكلامية للإنسان، في المصادر الإباضية الكلامية المغاربية، وجهة حسية واقعية، فالإباضية ترفض فكر الجزء الذي لا يتجزأ، بل ترفض التمييز بين مصطلح جوهر و جسم، لذلك نجد لآراء العلاف الحضور الأقوى في الآراء الطبيعية عند الإباضية المغاربية، حيث قدم "أبي عمار عبد الكافي التناوتي" في مخطوط " شرح الجهالات " مفهوما متكاملا للإنسان جاء فيه: " فإن سأل عن الإنسان ما هو ؟ قيل: له هذا المرئي على الهيئة و على هذا التركيب بجميعة و زعم قوم ممن ينتحل الكلام أن الإنسان معني في هذا البدن و ليس هو البدن فجميعة حتى وزعم قوم من أهل القدر في ذلك بأن الإنسان جزء واحد، جوهر لا يحتل التجزئة و لا القسمة، ألجأهم إلى ذلك الهروب من الإقرار بخلق الأفعال. وعطلوا في كل ذلك مع كل زاعم أن الإنسان ليس هو هذا المرئي بجميعة، (...).و كما أن الحي الفعال هو هذا بجميعة بذلك و في لغة الناس بينهم يقولون: إنسان ميت لبعض دون بعض كما زعم أهل القدر. فإن قال قائل: لم يسمى الإنسان إنسانا ؟ قيل: قد تكلم في ذلك قوم عند الشيخ أبي يحيى رحمه الله حتى ذكر أنه سمى بذلك لأنه يؤنس بالبصر. فقالوا: كيف كان الحيوان قد يؤنس و يشاهد بالبصر فلم وقع التخصيص بهذا الاسم للإنسان دون سواه من الحيوان ؟ قال: رحمة الله: هذا الفرق ليس هو ما بين الإنسان و بين كل الحيوان، و إنما هذا الفرق بين الإنس و الأجن، فكانت الإنس إنسا لأنهم يؤنسون بالبصر، كانت الجن جنا لأنها جنت على البصر، بهذا فرق و فصل بين هذين الجنسين المتقاربين دون سائرهما و الله أعلم " (التناوتي ١، مخطوط ، صفحة 52 ورقة 104 صدر)

3. مخطوط "كتاب مسألة الإنسان" بين المصادر الإباضية المغاربية القديمة :

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

بداية كلمة كتاب قد تستعمل في مصادر التراث للدلالة على تأليف من الحجم الكبير يصل إلى أجزاء، و يمكن استعمالها للدلالة على نص قصير، فالحجم ليس شرطا لوصف التأليف بالكتاب، و إن كانت الكتب ذات الحجم الأكبر يطلقون عليها تسمية ديوان، ما يشترط أن هذا الكتاب، سواء كان ورقات أو أجزاء أن يكون لمؤلف واحد معلوم ابتداء. و ما وصل إلينا من "كتاب مسألة الإنسان" ورقة مخطوطة واحد، و رغم ذلك لم تسقط عليه صفة كتاب، تم إضافة "كتاب مسألة الإنسان" إلى "كتاب الجهالات" من متكلم إباضي من القرن الرابع للهجرة هو "إبراهيم بن ملال المطكودي المزاتي البصير أبو إسماعيل" وفق روايات كتب السير دون أن توضح لنا كيف يمكن للملاي الذي عاش قبل 320 هجري أن يضيف كتابا إلى تأليف منسوب إلى "تبغورين بن عيسى المشلوطي" (ت ق 6هـ) الذي عاش بعده، و هذا ما يقوي فرضية أن المشلوطي ليس مؤلفا "للجهالات"، و قد يكون جامعا له و مزيدا فيه و هذا سوف نعرفه عند التعريف بكتاب الجهالات .

1.3 التعريف بكتاب الجهالات :

أول ما يجب تصحيحه هو نسبة "كتاب الجهالات" قطعاً إلى تبغورين بن عيسى المشلوط و الحقيقة لا يوجد مصدر واحد نسبه إليه على وجه اليقين، و لا اعرف من الذي روج هذه النسبة في الأوساط الإباضية اليوم ؟ و الحقيقة إنه بالكاد نجد ما يكفي من الأخبار للترجمة لشخصية تبغورين نفسه في السير الإباضية ؟ و انما نجد أكثر من حجة يؤكد أن "كتاب الجهالات" نص قديم جدا كان متداولاً بين النخبة من شيوخ الإباضية الأوائل في القرن الرابع الهجري. نتأكد من ذلك بالعودة إلى كتب السير: يرى أبو القاسم البرادي (ت 810هـ) "أن كتاب الجهالات الأصل لا أدري من ألفه و هو من التوليف القديمة" (البرادي، 2014، صفحة 239) الشيء الذي يؤكدده الشماخي (ت 928هـ) في السير، ففي ترجمته للشيخ أبو محمد ويسلان بن أبي بكر كان (حيا 431هـ) يذكر: "و منهم أبو محمد ويسلان بن أبي بكر رحمه الله، قال أبو الربيع عن أحمد بن يوحين عن أبي العباس قال كان لأبي محمد ويسلان سبعة أكيسة (...). و ندم على ترك ثلاثة: زيارة أهل الدعوة أهل السهل، و قراءة الجهالات، و مجالس عمران موسى بن أبي زكرياء لأنه أخذ العلم عن أبيه أبي صالح" (الشماخي، 2009، صفحة

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

455). و في ترجمة الشماخي للشيخ أبو عمران موسى بن زكرياء، يكرر التذكير بندم الشيخ أبي محمد ويضيف معلومة هامة فيقول: " و منهم أبو عمران موسى بن زكرياء رحمه الله أحد أعلام المذهب ورؤوسه و ممن أضاء الله به دجى الجهل و ظلمته، قال أبو العباس أردك المشايخ و روى عنهم العلوم و الآثار (.....) و هو الذي تولى نسخ الديوان المشهور الذي ألفه الفقهاء السبعة بغار الجماع (.....) و قال أبو محمد ندمت على ثلاث فاتتني من الدنيا قراءة كتاب الجهالات و هو كتاب في علم الكلام عظيم الشأن. " (الشماخي، 2009، صفحة 590) .

الشيء نفسه انتبه إليه الدارسون المعاصرون للتراث الإباضي في علم الكلام، حيث توقف "بييار كوبرلي" عند هذه النقطة، متسائلا و مقررًا " إلى أي عصر ينبغي رد كتاب الجهالات ؟ (...). هذا الكتاب المجهول المؤلف (.....) الذي قدم [فان إس] تحليلا ضافيا لمحتوى مسائل (...). يوحي بأنه مفكرة أعدت ليستخدمها الدعاة في نشر المذهب. يمكن أن تكون نواته قديمة جدا، و أثريت بإضافات لاحقة، كما يوحي أسلوبه غير المتجانس و الطابع التجميعي لمادته. إذ تتعلق بعض الأسئلة على ما يبدو بأمازيغ و ثنينين و أخرى بمشاكل داخلية للجماعة. و النص لا يتضمن أية إشارة إلى مؤلفه نسبه إلى تبغورين مشكوك فيها، و مؤلفه مجهول (...). كل ذلك لا يستبعد أن يكون مؤلفا جماعيا خاصة إن ملاحظة في مقدمة المخطوط الذي اطلع عليه [فان.إس] تشير إليه كتأليف السادات من أهل الدعوة. و قد شرحه أبو عمار عبد الكافي " (كوبرلي، 2010، صفحة 45) .

مع مناهج علاقات النصوص التي لا بدليل عنها يمكن أن نكتشف أصول كثير من النصوص الكلامية الإباضية التي تموهت في كتابات جديدة، و تم إخفاء هوية مؤلفيها الحقيقيين لأسباب قد تكون مبررة وقتها و ربما حان الوقت لهذه الاكتشافات.

و حتى نبتعد عن الشعارات تكون البداية بنص محدد "مسألة الإنسان". و افترض أننا سوف نكتشف نصا ذا طابع فلسفي بامتياز و الفائدة من ذلك مكان و زمان تأليف النص. فمن هو مؤلف كتاب مسألة الإنسان ؟

2.3 التعريف بكتاب مسألة الإنسان:

1.2.3 التعريف بالكتاب:

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

المؤكد أن مسائل توجد في "كتاب الجهالات" أضافها "الشيخ أبو إسماعيل إبراهيم بن ملال الضرير" (توفي 320) دون أن يتوقف الرواة على مفارقة الفارق الزمني بين المؤلفين، فالسابق لا يضيف إلى اللاحق، و من هذه المسائل التي ثبت إضافتها على ما يري أبو عمار عبد الكافي التنتاوي نفسه في شرحه للجهالات مسألة الإنسان، و إن لم يجزم في ذلك، حيث يتصدر شرحه لهذه المسألة بالقول: "باب مسألة الإنسان و سمعت غير و احد من المشايخ يحدثون أن مسألة الإنسان زادها أبو إسماعيل البصير في كتاب الجهالات أبو إسماعيل فيما بلغنا شيخ من أهل الدعوة و هو رجل مزاتي ضرير من بني مصطكود يذكر أنه نظيرا أبي نوح سعيد بن زنجيل رحمه الله و الله أعلم" (الوارجلاني، صفحة ورقة 25ب) و تزداد قوة الحجة برواية الوسياني الذي يثبت نسب الكتاب " (الوسياني، 2009، صفحة 384)"

2.2.3 التعريف بالمؤلف: (أبو إسماعيل إبراهيم بن ملال الضرير "320هـ)

ذكره أبو زكريا في كتاب و أخبار سير الأئمة مرتين، و يبدو أن محقق كتاب السير عبد الرحمان أيوب تشابه عليه الأمر بين اسم ملال و اسم هلال، فكل كتب السير نسبه إلى ملال، و هو اسم منتشر إلى اليوم بمعنى الأبيض، في النهاية اكتفى أبو زكرياء بروايات فقهية عن الملالي .
قدم الوسياني أخبارا أوفر عن الملالي فقد ذكره خمس مرات، و خصص الوسياني ترجمة منفصلة، أهم ما يمكن أن نستنتجه منها هو أن "ابراهيم بن ملال المزاتي" كثير السفر من اجل العلم و التعلم: " و ذكر أن ابا اسماعيل زار أهل الدعوة أريغ ووارجلان و أسوف، فجاز على كدية بني مغراوة في اريغ، فطلبه من فيها من الصالحين المعروفين في المبيت فيها " (الوسياني، 2009، صفحة 433) كما نجده في جربة لطلب السؤال في العلم: " و ذكر إن أبا إسماعيل البصير المزاتي أتى جربة في زمان أبي زكرياء فيصل، فقال له أسالك غدا ثلاث مسائل " (الوسياني، 2009، صفحة 347) لعل هذه الرحلات مكنته من الاطلاع على الكتب و حفظها " أبو الربيع عن أبي محمد عن أبي ماكسن بن الخير قال: أن الشيخ
أبو إسماعيل البصير، و كان تعليمه في درب بني ميدول من واسين في توزر، و قد حفظ خمسمائة كتاب " (الوسياني، 2009، صفحة 346) لم يصف الدرجيني جديدا على ما ذكره الوسياني ما عدا دياجة يصف فيها مكانة الملالي " و منهم أبو اسماعيل البصير ابراهيم بن ملال المزاتي رحمه الله شيخ عبادة وورع

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

و اجتهاد في معرفة ما فرض الله و شرع، كثير الملازمة لزوايا المسجد، لإلتقاط الفوائد، يغدوا إليها و يروح كما يغدو الطير ث.: " (الدرجيني، 1974، صفحة 412)

3.3 كتاب مسألة الإنسان في مخطوط السؤالات:

3.3.1 التعريف بمخطوط كتاب السؤالات:

جاء في متن مخطوط "كتاب السؤالات": " سؤال الشيخ أبي عمرو على عدد من تلاميذه و على كتب الشيوخ رحمهم الله و اللغة فصيح فهو الأم إن شاء الله، عرضتين معروض عن الشيخ أبي محمد عبد الله رحمه الله و قد عرض بن سجميمان و المعيز بن جناو و أبي الفتوح و العرضة الآخرة على الشيخ أبي نوح صالح بن الشيخ إبراهيم رحمة الله عليهم . " (السوفي، صفحة 13 ورقة 4أ) وجاء في السؤال في السؤال الخامس و التسعون من السؤالات: " و ذكر أبو يعقوب يوسف بن محمد و هو الذي حكى هذا السؤال عن الشيخ أبي عمر عثمان بن خليفة و ألفه عيسى بن عيسى النفوسي الوارجلاني، و أمر أبو يعقوب به أن يعرض على أبي محمد عبد الله بن سجميمان فعرض عليه، و زادنا فيه أيضا ما أغفل ذكره مما كان يجريه في السؤال أبو عمرو رحمة الله عليه و غفر له آمين رب العالمين " (السوفي ا.، صفحة 320 ورقة 150 ظهر)

نسب البرادي كتاب السؤالات للسوفي دون أن يعطينا تفاصيل " و لأبي عثمان السؤالات " (البرادي، 2014، صفحة 238) .

أما الشماخي فقد زدنا بكل التفاصيل عن الكتاب، بداية من الشخصيات التي وردت في متن كتاب السؤالات نفسه كمؤلف و رواة، و مراجعين له، فبعد أن أكد نسبة الكتاب إلى أبو عمرو عثمان بن خليفة: " و له من التأليف كتاب السؤالات و هو تأليف مفيد اظهر فيه منزلته من العلم، و له غيرها من التأليف، و له مناظرات مع المخالفين و كل ذلك يفهمهم و يبكيهم " (الشماخي، 2009، صفحة 639) .

أما المشاركون في التدوين فتتعرف عليهم من خلال ترجمة لأبي الفتوح ممن عرض عليه كتاب السؤالات لمراجعته " و منهم أبو الفتوح شيخ أخذ العلم من أبي عمار متأخر، و في السؤالات و روى أبو الفتوح عن أبي عمار رحمه الله (.....)، كثيرا ما يروي في السؤالات عن أبي عمار و إن كان متأخر عن أبي عمرو و لأنه تقدم أن المؤلف لها أبي عمرو هي أو أكثرها مروية عنه و ربما روى عن غيره " (الشماخي،

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

2009، صفحة 747)، و في ترجمة الشماخي للشيخ أبو نوح صالح الذي تم عرض السؤالات عليه العرضة الثالثة يقول: " و أما أبو نوح صالح الذي لقي أبو عمار بأندلس فهو في غالب ظني الشيخ صالح بن الشيخ إبراهيم المعروف عليه السؤالات. " (الشماخي، 2009، صفحة 748) أما من يوصف في مقدمة السؤالات بأنه مؤلف له، فالظاهر أن عبارة التأليف هنا تم استعمال بمعناها اللغوي لا الاصطلاحي، من التوليف بين الأشياء أي الجمع فيذكر الشماخي: " و منهم أبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي و كفاك به علما و شهرة أنه الذي ألف كتاب السؤالات التي رويت عن أبي عمرو إملاء الشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمد (...). المعروف عليه السؤالات " (الشماخي، 2009، صفحة 745).

نستأنس الآن برأي أحد أكبر الباحثين في التراث الإباضي الكلامي المغربي، الدكتور عمرو خليفة النامي الذي يصف الكتاب فيقول: " و كتاب السؤالات عمل كلامي كبير، و خليط من تفسيرات أدبية لمصطلحات كلامية على أساس القرآن و الحديث و الشعر العربي القديم، و هو عمل غني بالمعطيات حول اللغة العربية، بالإضافة إلى الآراء و العبارات الكلامية التي تستعمل في أوساط العلماء و الطلاب الإباضيين، و هذا الكتاب الذي ينسب إليه هو في الواقع نقل لردود على عدد كبير من الأسئلة رواها أو عمرو مدرسههم أبي الربيع سليمان بن يخلف " (النامي، 2012، صفحة 227) .

2.3.3 التعريف بالمؤلف: (أبو عمرو عثمان بن خليفة بن يوسف المرغني السوفي (ق6ه):

لم يرجم له أبو زكريا في سير الأئمة فهو سابق عنه، أما تلميذه الوسياني فقد حفظ لنا عشرات الروايات بسند السوفي، و لكن اغلبها رواية لنوازل فقهية. انفرد الوسياني بخبرين هامين ذكره لاسم السوفي كاملا: " و ذكر أبو عمرو الشيخ الكريم عثمان بن خليفة بن يوسف المرغني رحمه الله " (الوسياني، 2009، صفحة 646). و حفظ لنا سند السوفي في الرواية أو ما يسمى " سلسلة نسب الدين " جاء في الرواية: " و قد كان الشيخ ابو عمرو رحمه الله في اسناده يقول في أخذه الدين: أبو عمرو عبن أبي العباس، عن أبي الربيع سليمان بن يخلف، عن ابي عبد الله محمد بن بكر، عن أبي نوح سعيد بن زنجيل، عن أبي خزر، عن سحنون بن أيوب، عن سعيد بن أبي يونس وسيم بن نصر، عن الإمام أفلح، عن والده الإمام عبد الوهاب عن الإمام أبيه عبد الرحمان بن رسم، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد، عن أبي العباس عن النبي

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

ص عن جبريل" (الوسياتي، 2009، صفحة 539). صنف الدرجيني السوفي ضمن الطبقة الحادي عشرة و قدم أخبار هامة عن مناظراته مع المخالفين و تأمرهم عليه، و يعتبره من أهم المتكلمين: " و منهم أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي رحمه الله و هو في أهل المذهب احد الاعلام، الكاشف بحسن بيانه و نور منطق لسانه دياجي الظلام، المفتي في العلوم لا سيما علم الكلام، المجاحش المدافع عن كلمة الاسلام، حتى أن له في موطن الدين قراعا بلسان مخدام، وربما كان في محل هدنة فاشتعل الاضرام، و لم يعبأ بمن قال: لكل مقام مقال " (الدرجيني، 1974، صفحة 483) و ينقل الدرجيني عن خصوم السوفي وصفهم له بالقول: " اعلموا أن الرجل عالم ذو قدرة على المناظرة

و لا طاقة لكم به" (الدرجيني، 1974، صفحة 484) و ما يضيفي على شخصية السوفي تميزا إضافة الى كل ما ذكره رواة السير الاباضية هو أنه ضمن قلة من الأعلام الإباضية المغاربية ممن يكون باللقب السوفي نسبة الى آسوف المكان، و أشهر هؤلاء القلة أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني، فهو ينتمي و طنا الى آسوف (واد سوف الحالية- الجنوب الشرقي الجزائري) التي يصفها السوفي نفسه ببلادنا: " و قال عثمان خرجت من وارجلان أريد بلادنا، فخرج معي أيوب بن إسماعيل شماخي ذكر أبا عمرو عثمان بن خليفة السوفي" (الدرجيني، 1974، صفحة 483). رغم أن ال 28 مرة في سيره، و لكن أغلب رواياته مصدرها الوسياتي، و أضاف نسبة السؤالات له، و فصل في ترجمة من جمع السؤالات و راجعه و املاه ..الخ، و سبق ذكرهم .

3.3.3 اكتشاف كتاب الإنسان ضمن مخطوط كتاب السؤالات:

كتاب السؤالات تم الزيادة فيه و الإضافة إليه من تلاميذ السوفي، و لكن هذه الزيادات لا يشار إلى مصادرها في الغالب، و الطريقة الوحيدة لاكتشاف هذه الاقتباسات و الزيادات هي مقارنة النصوص. عندما نقارن بين السؤال السادس و الثمانون من "كتاب السؤالات"، نجد أنه مطابق تماما " لكتاب مسألة الإنسان" المضاف إلى كتاب الجهالات مع فروق لغوية بسيطة و لكن قد يكون الإقتباس من مصدر مفقود سابق عن الجهالات، و سابق عن الملالي نفسه المشهور بالحفظ لا الكتابة و التدوين

4.3.3 التعريف بكتاب شرح الجهالات: أبي عمار عبد الكافي التتاوي الوارجلاني :

1.4.3.3 التعريف بالكتاب: (شرح الجهالات):

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

يوجد إجماع حول نسبة كتاب شرح الجهالات إلى أبي عمار عبد الكافي التناوي، يمكن أن نتأكد من ذلك بقراءة مخطوط شرح الجهالات الذي يتميز بالوحدة العضوية و التماسك، من بدايته إلى نهايته، وكثيرا ما يذكر الشارح ببداية الكتاب، و يميلنا إلى كتابه الموجز. و قد نسب البرادي الكتاب إلى أبي عمار عبد الكافي التناوي: " و كتاب الموجز للشيخ أبي عمار عبد الكافي بن يعقوب التناوي الوارجلاني، و شرح الجهالة له أيضا ". (طالبي، 2013، صفحة 291) كما نسبه الشماخي: " و منهم أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب ممن أحيى الدين و المذهب إقراء و تأليفا و كان في النون غاية و في علم الكلام خصوصا أية، ألف الموجز في الرد على كل من خالف الحث في جزئين و شرح الجهالات في سفر و كتاب الاستطاعة و له غيرها " (الشماخي، 2009، صفحة 455).

2.4.3.3 التعريف بالمؤلف: أبو عمار عبد الكافي التناوي الوارجلاني:

نشير بداية إلى ما كتبه الدكتور عمار طالبي في وصف شخصية أبي عمار عبد الكافي التناوي الوارجلاني " يعتبر أبو عمار من الذين أحيوا المذهب الإباضي تأليفا و تعليما، و هو من أعظم مؤلفي الإباضية مقدره على الجدل و النظر، و أكثرهم عمقا في التفكير و تنظيميا للمذهب، في نسق عقلي دقيق متماسك، و هو لا يقل عن متكلمي المعتزلة و الأشاعرة و الشيعة مقدره على التأليف و إحاطة بالمذاهب، و دفاعا عن المذهب، و نصره له " (طالبي، 2013، صفحة 219) .

أما في المصادر الإيضائية فلا يكاد نعثر على مصدر في علم الكلام الإباضي المغربي ممن عاش بعد أبي عمار إلا و رجع إليه و قد انفرد الدرجيني بالترجمة له تفصيلا، و كل من ترجمة لأبي عمار اعتمد كليا على ترجمة له في طبقاته. و يصفه: " منهم أبو عمار عبد الكافي رضي الله عنه، ابن يعقوب التناوي. تدارك المذهب قد أقبر فأنشره نشورا، و نوه به و قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، فأحيى الله به رفاقته، و جمع ببركته شتاته، خدم العلم دهرًا حتى وعاه.، و أوعى منه الأوعية ثم أخذ يفتيه و يعلمه، فسالت منه الأودية، في تصنيف كتاب، أو تهذيب جواب، أو تدرب متكلم، أو إفادة متعلم، و هو الذي أزرى بموجزه على الماضين " (الدرجيني، 1974، صفحة 485/2) و يفصل الدرجيني في رحلة أبي عمار إلى الدراسة في جامع الزيتونة تونس، و لعله الإباضي المغربي الأول الذي انفرد بهذا القرار أي الدراسة خارج الأطر الإباضية التقليدية " فهاجر إلى تونس فأقام فيها أعواما يدرس الليل و النهار، و لا

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

يحضر بياله ذكر الأهل و الدار، و الذي توخاه في قصده تونس شيئين أحدهما ملاقاتة من يشغل خاطره عن ذكر أهله، و الثاني أراد أن ينقطع عن اللسان البربري بالبعد عن مخاطبه به و التدرب على لسان العربية " (الدرجيني، 1974، صفحة 486/2)

4. النصوص:

لا إمكانية لاستعمال منهج تحقيق النصوص بالمعنى التقليدي للكلمة، فنحن الآن أمام نصوص انتقائية سوف نقوم باستخراجها من مصادرها الأصلية الكلية، و لذلك سوف نعلم بديلا علميا هو مقارنة النصوص، و سوف نرتب النصوص حسب زمن مؤلفها المفترض، و هي كالتالي:

1.4 النص الأول: مسألة الإنسان في كتاب الجهالات :

" إن سأل سائل عن العلم بأنك إنسانٌ أهو العلمُ بأنك مخلوقٌ ؟

فقل: العلمُ بأيّ مخلوقٍ كَسْبٌ، والعلمُ بأيّ إنسانٍ ضرورة، فهذا فرقٌ ما بين العلمين.

فإن قال: ما تقول فيمن قال إنَّ العلمُ بأيّ إنسانٍ هو العلمُ بأيّ مخلوقٍ ؟.

قيل له: فقد أثبتَّ كون الاضطرار هو الاكتساب.

فإن قال: ما تقول فيمن قال: إنما أعلمُ بأيّ إنسانٍ لأني مخلوقٌ ؟

قيل له: قد أثبتَّ أن كلَّ مخلوقٍ إنسانٌ.

فإن قال: إنما أعلمُ أبي مخلوقٍ لأني إنسانٌ فقد أُبطلَ أن يكون غير الإنسان مخلوقا.

فإن قال: العلمُ بأنك شيءٌ أهو العلمُ بأنك مُحدثٌ؟

فقل: العلمُ بأيّ شيءٍ نفْيُ العدم، والعلمُ بأيّ مُحدثٍ نفْيُ القِدم.

فإن قال: ما تقول فيمن قال: إنما أعلمُ أيّ شيءٍ لأني مُحدثٌ.

قيل له: قد أبطلتَ أن يكون غير المحدث شيئًا.

فإن قال: إنما أعلمُ أيّ مُحدثٍ لأني شيءٌ فقد أثبتَّ أن كلَّ شيءٍ مُحدثٌ.

فإن قال: العلمُ بأنَّ اللهَ واحدٌ أهو العلمُ بأنَّه قديمٌ ؟

قيل له: العلمُ بأنَّ اللهَ واحدٌ نفْيُ العَدَدِ، و العلمُ بأنَّه قديمٌ نفْيُ الحَدَثِ.

فإن قال: ما تقول فيمن قال: إنما أعلمُ أنَّ اللهَ واحدٌ لأنَّه قديمٌ ؟.

قيل له: فقد أبطلَ أن يكون غير القديم واحدًا

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

فإن قال: إنما أعلم أنّ الله قديمٌ لأنّه واحدٌ فقد أثبت أنّ كلّ واحدٍ قديم.

فإن قال: العلم بأنّ الله شيءٌ هو العلمُ بأنّ الله أزليٌّ؟

فقل: العلم بأنّ الله شيءٌ نفى القِدَمَ، والعلم بأنّه أزليٌّ نفى الحَدَثَ.

فإن قال: ما تقول فيمن قال: إنّما العلم أنّ الله شيءٌ لأنّه أزليٌّ؟

قيل له: فقد أبطل أن يكون غير الأزليّ شيئاً.

فإن قال: إنّما أعلم أنّ الله أزليٌّ لأنّه شيءٌ فقد أثبت أنّ كلّ شيءٍ أزليٌّ.

فعلى هذا فَيَسُنَّ كلّ ما يردُّ عليك من هذا النحو" (الملشوطي، مخطوط، صفحة 15 ورقة 7)

2.4 النص الثاني: مسألة الإنسان في كتاب السؤالات (السؤال السادس و الثمانون)

" سؤال:

فإن قال أخبرني عن العلم بأنك إنسان أهو العلم بأنك مخلوق؟

فقل: العلم بأني إنسان كسب و العلم بأني مخلوق ضرورة، فهذا فرق ما بين العلمين

فإن قال فكيف جعلتم علمين مفترقين في معلوم واحد؟

قيل له: ذلك جائز غير فاسد أن يكون بمعلوم واحد علوم كثيرة من جهات متفرقات بعضها كسب

و بعضها ضرورة، ألا ترى أن الإنسان قد يعلم أنه إنسان من يجهل أنه مخلوق، و لما كان العلم أنه محدث

مخلوق لا ينال إلا بالأدلة و العلم بأنه إنسان قد يعلم بالمشاهدة.

فإن قال: العلم بأني إنسان هو العلم بأني مخلوق؟ قيل له: قد أثبت هذا الاضطرار هو الاكتساب

فإن قال: إنّما أعلم بأني إنسان لأني مخلوق؟ فقد أثبت أن كل مخلوق إنسان.

فإن قال: إنّما أعلم أني مخلوق لأني إنسان؟ قيل له: قد أبطل أن يكون غير الإنسان مخلوق.

فإن قال: إنّما أعلم إني شيءٌ لأني محدث؟ قيل له: قد أبطل أن يكون غير المحدث شيئاً.

فإن قال: إنّما أعلم أني محدث لأني شيءٌ؟ فقد أثبت أن كل شيءٌ محدث .

فإن قال: إنّما أعلم أني محدث لأني جسم.؟ قيل له: قد أبطل أن يكون غير الجسم محدث.

فإن قال: إنّما أعلم أني جسم لأني محدث؟ فقد أثبت أن كل جسم محدث.

فإن قال إنّما أعلم أني جسم لأني إنسان؟ قيل له قد أبطل أن يكون غير الإنسان جسماً.

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

فإن قال: إنما أعلم أي إنسان لأني جسم ؟ فقد أثبت أن كل جسم إنسان.
فإن قال: إنما أعلم أي إنسان لأني رجل ؟ قيل له: قد أبطل أن يكون غير الرجل إنسان.
فإن قال: إنما أعلم أي رجل لأني إنسان ؟ فقد أثبت أن يكون كل إنسان رجلا.
و جمع إنسان أنس بفتح الهمزة مقصور و أناس و جمع الإنسي إنس و جمع الجمع أناسي مشددة و مخففة
جميعا يقرءان في التنزيل كذلك فإن قال إنما أعلم أنني محدث لأني محتاج ؟ أو قال: إنما أعلم أي محتاج لأني
محدث ؟ أو قال: إنما أعلم أي شئ لأني موجود ؟ أو قال: إنما أعلم أي موجود لأني شئ ؟ يجوز فيه
الإثبات و الإبطال و أصل هذه المسائل إذا جعلت العام علة فأبطل فإذا رجعت العام إلى العام فأثبت أو
أبطل " (السوفي أ.، مخطوط ، الصفحات 290-291 ورقة 145 صدر، ظهر)

3.4 النص الثالث: نص شرح مسألة الإنسان في كتاب شرح الجهالات :

" باب مسألة الإنسان و سمعت غير و احد من المشايخ يحدثون أن مسألة الإنسان زادها أبو إسماعيل
البصير في كتاب الجهالات أبو إسماعيل فيما بلغنا شيخ من أهل الدعوة و هو رجل مزاتي ضير من بني
مصطكود يذكر أنه نظيرا أبي نوح سعيد بن زنجيل رحمه الله و الله أعلم .
و أما قوله: و إن سأل سائل عن العلم بأنك إنسان ؟ أهو العلم بأنك مخلوق ؟
فأجابه: بأن العلم بأني مخلوق كسب، و العلم أنه إنسان ضرورة، و ذلك أن العلم بأنه إنسان علم
بالضرورة لا يمتنع من ذلك سواء في أن العلم نفسه بأنه إنسان و أن يعلم غيره أنه إنسان، فكل ذلك
علم الضرورة، و لا يمتنع أحد من معرفته يعلم ذلك من نفسه، بالذي يجده فيها من المعرفة بذلك
و أن معرفة الإنسان بما هو عليه في ذات نفسه، من كونه إنسانا حيا، سميعا، و بصيرا و صحيحا،
و سقيما، و مستلذا، و مؤلما، و ما يجد من ذلك، و ما يجده في نفسه ضرورة علم ضرورة يسمه أهل
الكلام العلم ببداية الإنسان، و لم يجعلوه علما ينال من قبل الحواس بل جعلوه قسما ثانيا .
أخبرني بذلك أبو يحيى رحمه الله، و ذلك أن رجلا من الأشعرية لقيني بمدينة قابس، فسألني: عن حد
العلم ؟ فأجبت: بجواب كتاب الشيخ أن العلم كله من طريقين: درك بالحواس، و استدلال بما أدركته
الحواس، فقال: هيهات أين العلم بأنك موجود ؟ و بأنك إنسان، و بأنك حي، و بأنك سميع، و بأنك
بصير، فما وجد عندي من ذلك جواب أتيت إلى الشيخ رحمه الله و قصصت عليه قصتي، قصة صاحبي.

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

فقال: لي لم يظلمك صاحبك أو كلام قريب من هذا المعنى، ثم ذكر المسألة وفسرها لي على ما أخبرتك أولاً و قسموا غير هذا من كل علم يعرفه العارف في غير نفسه قسمين: قسم يدرك بالحواس، و العلم بأنني إنسان ضرورة فهذا الفرق بين العلمين .

فإن قال قائل: ما تقول فيمن قال: أن العلم بأي إنسان هو العلم باي مخلوق ؟ قيل: له فقد أثبت هذا الاضطرار هو الاكتساب.

فإن قال: ما تقول فيمن قال إنما أعلم أي إنسان لأني مخلوق ؟

قيل: له أثبت أن كل مخلوق إنسان.

فإن قال: العلم إنما أعلم أي مخلوق لأني إنسان، فقد أبطل أن يكون غير الإنسان علم ضرورة يسمه أهل الكلام العلم ببداية الإنسان و لم يجعلوه علماً ينال من قبل الحواس بل جعلوه مخلوقاً[.....]

فإن قال: قائل فكيف حتى جعلتم علمين متفرقين في معلوم واحد ؟

قيل: ذلك جائز غير فاسد أن يكون لمعلوم واحد علوم كثيرة من جهات متفرقة بعضها كسب و بعضها ضروري، ألا ترى أن الإنسان قد يعلم أنه إنسان من يجهل أنه مخلوق، كما كان العلم بأنه محدث مخلوق لا ينال إلا بالأدلة، و العلم بأنه إنسان قد يعلم بالمشاهدة. [.....]

فإن سأل عن الإنسان ما هو؟ قيل: له هذا المرئ على الهيئة و على هذا التركيب بجميعة وزعم قوم ممن ينتحل الكلام أن الإنسان معني في هذا البدن و ليس هو البدن فجميعة حي وزعم قوم من أهل القدر في ذلك بأن الإنسان جزء واحد، جوهر لا يحتل التجزئة و لا القسمة. ألبأهم إلى ذلك الهروب من الإقرار بخلق الأفعال، وعطلوا في كل ذلك مع كل زاعم بزعم أن الإنسان ليس هو هذا المرئي بجميعة، قال الله تعالى: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [عبس: 17] إلى قوله: ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ [عبس: 21] فسماه إنسان و هو ميت و هو مقبور، و قوله: ﴿ أيحسب الإنسان أن يتركه سدى ﴾ [القيامة: 36] ثم قال: ﴿ ألم يكن نطفة من مني يمى ﴾ [القيامة: 37] إلى قوله: ﴿ فجعلنا منه الزوجين الذكر و الأنثى ﴾ [القيامة: 39]. و في لغة الناس بينهم يقولون إنسان ميت، و كما أن الحي الفعال هو هذا بجميعة، ليس التسمية بذلك لبعض دون بعض كما زعم أهل القدر.

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

فإن قال قائل: لم يسمى الإنسان إنسانا؟ قيل: قد تكلم في ذلك قوم عند الشيخ أبي يحيى رحمه الله حتى ذكر: أنه سمى بذلك لأنه يؤنس بالبصر، فقالوا: كيف كان الحيوان قد يؤنس و يشاهد بالبصر فلم وقع التخصيص بهذا الاسم للإنسان دون سواه من الحيوان؟

قال: رحمة الله: هذا الفرق ليس هو ما بين الإنسان و بين كل الحيوان، و إنما هذا الفرق بين الإنسان و الأجن، فكانت الإنس إنسا لأنهم يؤنسون بالبصر، كانت الجن جنا لأنها جنت على البصر، بهذا فرق و فصل بين هذين الجنسين المتقاربين دون سائرهما و الله أعلم .

فإن قال: ما تقول فيمن قال إنما أعلم بأني إنسان لأني مخلوق؟ قيل: فقد أثبتت أن كل مخلوق إنسان. و لو قال: إنما أعلم أني مخلوق لأني إنسان، فقد أبطل أن يكون غير الإنسان مخلوق، فكلتا العلتين فاسدتين. [.....]

و لو قال قائل: إنما صار الإنسان إنسانا لأنه جسم؟ كان و قد أثبت أن كل جسم إنسان. و كذلك لو قال: إنما صار الجسم جسما لأنه محدث؟ كان مثبتا أن كل محدث جسم. و كذلك لو قال: إنما صار المحدث محدثا لأنه شئ، كان مثبتا أن كل شئ محدث. و ذلك لأن أعم الأشياء شئ، لأن شيئا أعم من محدث، ومحدث أحص منه، و محدث أعم من جسم و جسم أحص منه وجسم أعم من إنسان، و إنسان أحص منه . [.....]

و كذلك لو قال: أن الجسم إنما كان جسما لعله التأليف كان أيضا مصيبا في إثباته و إبطاله، لما صحت له علتة و كان غير زائد فيها ما ليس منها و لا ناقص منها ما هو فيها، و كذلك لو قال أن الإنسان إنما كان إنسانا للإنسانيته كان مصيبا كما مضى ". (التناوبي، مخطوط ، صفحة 53 ورقة 25 ظهر)

5. خاتمة.

و صفوة القول أن منهج علاقات النصوص مكنا من اكتشاف نص فلسفي كلامي يعود إلى القرن الرابع الهجري، كان متداولاً بين الأوساط الاباضية المغاربية و لعله يعود إلى فترة أقدم و لعل هذا الاكتشاف هو الذي يرفع القرائن التي ترويه لنا مصادر التاريخ على ما فيها من بعض المبالغة عن التواجد المكثف لمختلف الفرق الكلامية الإسلامية قى فترة مبكرة للغاية في شمال إفريقيا، من الصفرية إلى المعتزلة المسماة الواصلية إلى الاباضية بمختلف فرها من النكار إلى الوهيبية إلى العمرية إلى الحسينية إلى النفاثية، و التحاق الأشاعرة جاء في فترة تعتبر متأخرة مقارنة مع كل هذه الفرق التي تبنت مقولات فلسفية و كلامية دافعت عنها و كتبت فيها مدونات، لا تزال كتب السير تحفظ لنا عناوينها .

حفريات في أقدم نص فلسفي مخطوط في تعريف الإنسان في التراث الإباضي المغربي

ضياح تراث المعتزلة في العراق له أسبابه، و لكن هذه الأسباب تنطبق على الأطراف البعيدة عن حواضر المعتزلة من بغداد إلى البصرة

إلى الكوفة، و لعل اكتشاف مؤلفات القاضي عبد الجبار المعتزلي في سبعينات القرن الماضي في اليمن و اكتشاف مؤلفات عبد الله بن يزيد الفزاري الاباضي في مزاب بني يزقن الذي حدث في صمت مطبق، يشجع على مزيد من الحفريات في التراث عن مصادر مفقودة في المركز ربما لا تزال شذرات منها على الأطراف .

إن مخطوطات السؤالات للسوفي، و مخطوط شرح الجهالات للوارجلاني، موسوعان في علم الكلام، إن تم تحقيقهما من مطلع على التراث الكلامي ككل، و تراث الفرق الكلامية منفردة و متمكن من منهج مقارنة النصوص سوف يكشف لنا قطعاً على نصوص كثيرة هي ألان في حكم المفقودة، دون أن ننسى أن الوارجلاني

و السوفي أبناء هذا الوطن الجزائري. و كل ذلك من أجل مشروع مدونة كبرى للنصوص الكلامية المغربية .

قائمة المراجع:

- 1- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. (1990). مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين. بيروت: المكتبة العصرية.
- 2- أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي. (2009). كتاب السير. بيروت: دار المدار الاسلامي .
- 3- أبو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني. مخطوط كتاب شرح الجهالات. جربة -تونس: الخزانة البارونية، 183/48.
- 4- أبو عمرو عثمان بن خليفة بن يوسف المرغني السوفي. مخطوط كتاب السؤالات. جربة -تونس: الخزانة البارونية، 14/40.
- 5- أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني. (2009). السير. مسقط، عمان: وزارة الثقافة و التراث .

عبد الرزاق بلقاسم و الأستاذ الدكتور : حاج دواق

- 6- أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني. (1974). طبقات المشايخ بالمغرب. قسنطينة: دار البعث .
- 7- أبي القاسم بن ابراهيم البرادي. (2014). الجواهر المنتقاة. لندن: دار الحكمة .
- 8- بيار كوبرلي. (2010). مدخل الى دراسة الإباضية و عقيدتها. عمان: مكتبة الضامري للنشر و التوزيع .
- 9- عمار طالبي. (2013). آراء الخوارج الكلامية. الجزائر: موفم .
- 10- عمرو خليفة النامي. (2012). دراسات في الإباضية. تونس: دار الغرب الإسلامي .